

أنه يمسر أو يتمدّر على الشاب ان يعرف حقيقه اخلاق الشابة وطباعها ورغائبها من المعاشرة بقصد الخطبة فان ما يتنازع الفتاة من ضروب الشهور والوجدان اذا كانت يبرأى من الفتى ومسمع يخرج بها عن حال الاعتدال الطبيعي الذي طبعت عليه فلا يكون الحكم عنها صحيحا لان حجابا طبيعيا اسدل على اخلاقها وسجاياها . ثم ان من وراء هذا الحجاب او من امامه حجابا آخر صناعيا وهو ما يكون من التكلف والتصنع لتكون امام الفتى بالمظهر الذي تظن أنه يرضيه ويجذب قلبه ، فالهمنة إذن في معرفة الآداب والأخلاق هي الوقوف على حال المنبت والمشيخة وخبر الصادق الذي يحسن التقدير ويميز بين ما يرغب فيه وما يرغب عنه . وقد يسهل على الخلق والحيران من العتائر ان يعرف قبيحهم اخلاق قبيحهم بالاختبار الصحيح اذا لم يكن هناك مقدمات ولا وسائل تشتم برغبة المختبر في تزوج من يلاحظ أحوالها ويتقدم أعمالها وقلما يكون هذا في المدن الا بين الأقربين . وحدثني السيد عبد الرحمن الكواكبي (رحمه الله) ان أهل الاستانة اذا رضوا بالخطاب دعوه الى دارهم وجمعوا بينه وبين بنتهم في مجلسهم فبأهوا وتراء وبسمع كل حديث الآخرو تسألوه عن آثاره الأدبية والعلمية ثم يكون المقدم بذلك

وجهة القول ان الذين يعتمدون على مجرد استحسان الصور في تخير الأزواج ضالون لا يرجي لهم أن يكونوا بيوتا (عائلات) تكون أعضاء حية عاملة لأمة عزيزة . وسيأتي بيان حال من يفتي اختياره على طلب المال والزوجة ثم من يفتي اختياره على ما يجب ان يفتي عليه الاختيار وقد ذكر بعضه في هذه المقالة تمرينا واستطرادا

فَتَاوَى الْمُبْتَائِنِ

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس طامة ، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بمس ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالباً ورمقادنا متأخرا السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لثقل هذا ، ولن نعني على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان عندنا سبب صحيح لا غفاله

﴿ التحكيم بين الزوجين في الشقاق ﴾

(ص ٦) الشيخ محمد نجيب التوتاري المدرس بالمدرسة التوتارية (روسيا) :

أعرض على حضراتكم مسألة كثرت البلوى بها في ديارنا مستفتيا من شريف علمكم متوقفا البيان الواقف بالمقصود في أحد أعداد المنار ليم نفعه ويكثر أجره وهي: هل يوجد طريق شرعي من الكتاب والسنة للتفريق بين الزوجين عند طلب الزوجة له وامتناع الزوج عنه مع وقوع الشقاق بينهما ؟ واني راجت كتب الحنفية الموجودة في أيدينا فوجدت أن قول امامنا أبي حنيفة (رض) عدم التفريق وقول الامام محمد (رض) التفريق اذا وجد في الزوج عيب غير متحمل وتقع الفرقة بمجرد اختيار الزوجة كما ذكره في كتاب الآثار وأما الامام مالك وأحمد والشافعي في أحد قوايه (رض) فذهبهم التفريق بسبب عيب الزوج اذا كانت الزوجة تطلبه كما هو المنقول في كتبنا فاتفق الأئمة سوى الامام أبي حنيفة يقوي القول بالتفريق فيكون العمل به أولى وأحوط . ثم اني بعد ما نظرت في قوله تعالى « وان خفتم شقاق بينهما » الآية ظهر لي بإعادة التفسير أنه عند وقوع الشقاق (الشقاق هو الخلاف والمداوة على ما ذكره) بين الزوجين ينصب القاضي الحكيم العاقل ويوليها أمر الجمع والتفريق كما هو المروي عن علي (رض) فهذان الحكمان بعد ما يطلعا على أحوال الزوجين يجتهدان في الإصلاح بينهما بإعادتهما إلى المعاشرة بالمعروف ان ممكن وان لم يمكن ذلك فان كان الشوز من طرف الزوج فحكم الزوج بفرق الزوجة نيابة عنه على سبيل التطبيق وان كان الشوز من طرف الزوجة فحكم الزوجة بفرقها على سبيل الخلع فكلا الأمرين أي الجمع بالمعروف أو التفريق بالمعروف ينفي أن يكون مرادا من الإصلاح المذكور في الآية . وأما الأبقا على حال الشقاق فليس هو من الإصلاح في شيء بل هو داخل في ضمن قوله تعالى « فتدروها كالمعلقة » الآية وتمام لقوله تعالى « وعاشروهن بالمعروف » الآية وقوله « فامسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضارا لتعدوا » الآية والحاصل أن الإصلاح إنما هو لرفع الشقاق ولا تصور ذلك الا بأحد الأمرين أي بالجمع بالمعروف أو التفريق بالمعروف ففي الآية دلالة على كلا الأمرين أي على ثبوت حق الجمع والتفريق للحكيمين لتضمن معنى الإصلاح ذلك . وهذا ما ظهر لي من تأمل الآية الكريمة ولا دري أصواب أم خطأ . والمأدول من الاستاذ اصاح هذه المسئلة وتطبيقها على الكتاب والسنة خدمة للدين والملة حتى يظهر الصواب في هذه المسئلة ولكم الاجر والمنة

(ج) ان الآية الكريمة صريحة في وجوب التحكيم بين الزوجين ان خيف اتفاق بينهما لانه يجب ان يكونا شقيقتين لامتناعين ينضوي كل منهما الى شق (جانب) غير الشق الذي فيه الآخر . ولا يجوز الاسلام للمسلمين ان يدعوها يستبد أقواهما بأضعفهما والخطاب في الآية للحكام في قول وللمؤمنين في قول والقرآن يخاطب المؤمنين عامة في الامور العامة لأنهم المسيطرون على الحكام اولاً لان الحكم شورى بينهم فاذا قصر أميرهم في تنفيذ الشرع الزموا به أو عزلوه وولوا غيره فالحق لان متلازمان . ويجب على كل من الزوجين قبول ما يحكم به الحكمان فن أبي الخضوع أنزله الحاكم المؤيد بجماعة المسلمين بقول تنفيذ الشرع

وقد أخرج الشافعي في الأم والبيهقي في السنن وغيرها عن عبيدة السلماني قال جاء رجل وامرأة الى علي كرم الله تعالى وجهه ومع كل واحد منهما فئام من الناس فأمرهم أن يئتموا حكماً من أهله وحكماً من أهلها ثم قال للحكيمين: تدران ما عليكما؟ عليكما إن رأيتم أن تجمعا أن تجمعا وإن رأيتم أن تفرقا أن تفرقا : قالت المرأة رضيت بكتاب الله تعالى بما عليّ فيه ولي وقال الرجل أما الفرقة فلا فقال علي رضي الله عنه كذبت والله حتى تقر بمثل الذي أقرت به : وأخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال في هذه الآية : هذا في الرجل والمرأة إذا تفسد الذي بينهما أمر الله تعالى ان يبعثوا رجلاً صالحاً من اهل الرجل ورجلاً مثله من اهل المرأة فينظران أيهما المسمى فان كان الرجل هو المسمى حجبوا عنه امرأته وقسروه على التفقة وإن كانت المرأة هي المسيئة قسروها على زوجها ونحوها التفقة فان اجتمع أمرهما على ان يفرقا أو يجمعا فأمرهما جائز فان رأيا أن يجمعا فرضي أحد الزوجين وكره ذلك الآخر ثم مات أحدهما فان الذي رضي يرث الذي كره ولا يرث الكاره الراضي : وليس في قول ابن عباس (رض) شيء لا يفهم من الآية الا مسألة الإرت بعد التفريق ويقول الاصوليون والمحدثون في مثل ذلك انه شيء لا مجال للرأي فيه فله حكم المرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم .

وما قاله بعض الحنفية من ان نفوذ حكمها يتوقف على رضي الزوجين بالتحكيم أخذاً من قول علي للرجل : كذبت الخ غير وجيبه لان مضاء الإلزام بالاقرار

ويكونه لإيصاله في الاتباع حتى يخضع له وهذا لا ينافي إزامه به كرهاً أن لم يرض طوعاً
قال في فتح البيان في مقاصد القرآن عند تفسير « إن يريدوا إصلاحاً: أي على
الحكمين أن يسميا في إصلاح ذات البين جهدهما فإن قدرا على ذلك عملاً عليه وان
أعيانها إصلاح حالها ورأيا التفريق بينهما جازهما ذلك من دون أمر من الحاكم
في البلد ولا توكيل بالفرقة من الزوجين وبه قال مالك والأوزاعي وأسحق وهو
صروي عن عثمان وعلي وابن عباس والشعبي والبخاري والشافعي وحكاه ابن كثير
عن الجمهور قالوا إن الله تعالى قال « فابشروا حكماً من أهله وحكماً من أهلها » وهذا
نص من الله سبحانه أنهما قاضيان لا وكيلان ولا شاهدان . وقال الكوفيون وعطاء
وابن زيد والحكم وهو أحد قولي الشافعي أن التفريق هو إلى الإمام أو الحاكم في
البلد لا إليهما مالم يوكلهما الزوجان أو يأمرهما الإمام أو الحاكم لأنهما رسولان شاهدان
فليس إليهما التفريق : ويرشد إلى هذا قوله « إن يريداء أي الحكمان إصلاحاً يوفق
الله بينهما » لاقتصاره على ذكر الإصلاح دون التفريق : اه

وانت ترى أن القول الأول هو المتبادر ويزيده قوة أنه صروي عن أعلم الصحابة
ولم يرو أن غيرهم منهم خالفهم فيه وأما الاكتفاء في الآية بذكر الإصلاح فلا أنه هو
المطلوب الذي ينبغي الحرص عليه وعدم الصبر إلى غيره إلا للضرورة والتفريق
يؤخذ من المفهوم ولو لا ذلك لم يقل به الصحابة والتابعون . على أن الساعي في
الإصلاح لا يحكم له فيسمى حكماً . وقد كان المسلمون في الصدر الأول يعملون بهذه
الآية على أحد الوجهين في تفسيرها وقد تركوها في هذه الأزمنة التي انفصلت فيها
عروة الدين ، ونسخ الحكم المستبينون أكثر أحكام الكتاب المبين ، وأهمل الناس
العناية بأمر أخوانهم المسلمين ، ومن قدر على إحياء هذه السنة كان له أجر المصلحين ،

﴿ الأرض - دليل حركتها من القرآن ﴾

(س ٧) ومنه: ثم أيها الأستاذ قد أوردتم في بعض أعداد المنار قوله تعالى « ينشي
الليل النهار بطلبه حيثما » دليلاً على دوران الأرض ولعلكن لم يظهر لي وجه
الاستدلال في ذلك وراجعت التفسير ولم أجده ما يشفي العلة فأرجو من فضلكم إيضاح
ذلك أيضاً في أحد الأجزاء . وقد أورد الأستاذ العلامة المرحوم شهاب الدين المرجاني

القزاني (رح) دليلاً على حركة الأرض قوله تعالى «وترى الجبال تحسبها جامدة» الآية وفصل ذلك وبسطه حتى لو نظر المتأمل في ذلك يظهر له أن الآية واضحة الدلالة على المدعى. ذكر ذلك في كتابه (وفية السلاف) والحاصل أنه حمل المرور المذكور في الآية على المرور في الحال ولكن سائر المفسرين حملوه على المرور الأخرى على ما هو الظاهر من سوق الآية وفي آيات أخرى أيضاً سير الجبال سبق لبيان السير الأخرى والمرجو من الأستاذ إفادة ما هو الصواب فيه أيضاً.

وقد أرسلت لكم مع هذا مقالة المرجاني في ذلك تقلاً عن كتابه (وفية السلاف) ونحية (الاخلاف) وهو كتاب كبير في التاريخ ثمان مجلدات ضخام لم يطبع منها إلا مقدمته وله تصانيف أخرى نافعة معمول بها في بلادنا. وكان رحمه الله سنياً خالصاً على مذهب السلف يمسك بالكتاب والسنة في الأصول والفروع وهذه عبارته :

«ويدل على حركة الأرض قوله تعالى «وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرُّ من السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء» أنه خير بما تفعلون» فإنه خطاب لجناب الرسالة وإيدان الأمر له بالأصالة مع اشتراك غيره في هذه الرؤية وحسبان جود الجبال وثباتها على مكانها مع كونها متحركة في الواقع بحركة الأرض ودوام مرورها من السحاب في سرعة السير والحركة وقوله «صنع الله» من المصادر المؤكدة لنفسها وهو مضمون الجملة السابقة يعني أن هذا المرور هو صنع الله كقوله تعالى : وعد الله وصيفة الله : ثم الصنع هو عمل الإنسان بعد تدرب فيه وترو وتجرى اجادة ولا يسمى كل عمل صناعة ولا كل عامل صانعاً حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب إليه وقوله «الذي أتقن كل شيء» كالبهتان على اتقانه والدليل على إحكام خلقته وتسوية مسوره على ما ينبغي لأن اتقان كل شيء يتناول اتقانه فهو تنبيه للمراد وتكرير له كقوله تعالى «ومن كفر فإن الله غني عن العالمين» وقد اشتملت هذه الآية على وجوه من التأكيد وأنحاء المبالغة ومن ذلك تسميه بالصانع الذي هو الفعل الجميل المتقن المشتمل على الحكمة وإضافته إليه تعالى تعظيماً له وتحقيقاً لاتقانه وحسن أعماله ثم توصيفه سبحانه باتقان كل شيء ومن جملة هذا المرور ثم إرادته بالجملة الكلامية الدالة على دوام هذه الحالة واستمرارها مدى الدهور ثم التقييد بالحال لتدل على أنها لا تفك عنها دائماً فإن قوله

تعالى « وهي تمر » حال عن المفعول به وهو الجبال، ومعمول لفعله الذي هو رؤيتها على تلك الحال، وعن هذا استدلوا على قصر عدد الحل الزائد على أصل الحل بوقوع قوله تعالى « مثنى وثلاث ورباع » حالا من الفعل وعلى اشتراط اذن الامام في الجملة لقوله عليه السلام « من تركها وطأ امام عادل أو جائر فلا جمع الله شمله » وغير ذلك فهذه الآية صريحة في دلالتها على حركة الارض وسرور الجبال معها في هذه النشأة وليس يمكن حلها على أن ذلك يقع في النشأة الآخرة أو عند قيام الساعة وفساد العالم وخروجه عن معاهد النظام وان حساباتها جامدة احساسها الصدم بين حركة كبار الاجرام اذا كانت في سمت واحد فان ذلك لا يلائم المقصود من التهويل على ذلك التقدير على أن ذلك تقضى واهدامه ، وليس من صنع وإحكام ، والمعجب من حذاق العلماء المفسرين عدم تعرضهم لهذا المعنى مع ظهوره واشتهاك الكتب الحكمية على قول بعض القدماء به مع أنه أولى وأحق من تنزيل احتمالات كتاب الله على القصص الواهية الاسرائيلية على ما شخصوا بها كتبهم وليس هذا بخارج من قدرة الله تعالى ولا بعيد عن حكيمته ولا القول به بمصادم للشريعة والعقيدة الحقة بهدان تعتقد ان كل ذلك حادث بقدرة الله تعالى وارادته وخلقته بالاختيار كائنا ما كان وهو العلي الكبير وعلى ما يشاء قدیر

«واعلم ان هذه الآية وما قبلها من قوله تعالى « ألم يروا أنا جعلنا الليل ليكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات يوقنون » اعتراض في تضاعيف مساقته من الايات الدالة على أحوال الحشر وأحوال القيمة كاعتراض توصية الامان بالدين في تضاعيف قصة لقمان ومثل ذلك ليس بعزيز في القرآن وفائدته هنا التنبيه على سرعة تقضي الآجال ونصر الاماد والتهويل من هجوم ساعة الموت وقرب وورود الوقت المعاد فان انقضاء الازمان وتقضي الاوان انما هو بالحركة اليومية المارة على هذه السرعة المنطبقة على أحوال الانسان وهذا المرور وان لم يكن مبصرا محسوسا لكن ما ينبت منه من تبدل الاحوال بما عاينوا بطوره من تعاقب الليل والنهار وغيره بمنزلة المحسوس المبصر » فاعتبروا يا أولي الابصار » فيكون هذا معجزة النبي صلى الله عليه وسلم مخصوصة به إذ لم يجز به قبله غيره من الانبياء وليس بممكن حمل الآية على تسير الجبال الواقع عند قيام الساعة ووفاء النشأة الآخرة اذ هو ليس من الصنع في شيء بل افساد أحوال الكائنات واختلال نظام

عالم واهلائه نبي آدم ؑ اه وذكرناه بنصه ولعله لا يسلم من تحريف
 (ج) قوله تعالى «يشئ الليل النهار يطلبه حثيثا» ليس نصا قطاميا في حركة الارض
 لكنه يدل على أن الليل الذي هو ظل الارض يسير مسرعا وراء النهار الذي هو نور
 الشمس الواقع على الارض حتى كأنه يطلبه بإرادة واختيار ولا يخفى ان النظر الى تعاقب
 بل والنهار يجيز لنا ان نقول ان كل واحد منهما يفشي الآخر ويتبعه أو يطلبه ولكن
 على الليل هو الثاني كما يؤيده قوله تعالى «والليل اذا يغشى» يشمر بأن هذه الحركة
 يدور فيها الليل وراء النهار والنهار وراء الليل هي للأرض وذلك ان العقل جازم
 بذلك لا بد أن يكون بسبب دوران الأرض تحت الشمس أو دوران الشمس وما يتبعها
 الكواكب حول الأرض في هذا المدار الواسع الذي يبلغ نصف قطره بالنسبة إلى الشمس
 اضعفنا الأرض مركزا نحو ٥٢ مليوناً من الاميال، وذكرنا أن مختار باشا الفارسي
 هو من أكبر علماء الفلك يقول ان الآية تدل على دوران الأرض قطعا وذلك انه يجب
 لها على أحد الوجهين المشار اليهما وأحدهما ممنوع بالأدلة الرياضية وهو كون الشمس
 تدور في هذا الفلك الواسع حول الأرض ويتبع ذلك ان كواكبها كذلك تدور
 حول الأرض ومنها ما هو أبعد منها عن الأرض كثيراً فتشعير الوجه الثاني وهو الذي قامت
 عليه الدلائل الرياضية على أنه أقرب إلى العقل والتصور

وأما قوله تعالى «وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب» الآية فقد استدلل
 بها المعاصرون على حركة الأرض وقد قرع هذا الاستدلال سمي في المدرسة أيام التحصيل
 ولم يحسن أحد في توجيهه إحسان عالمكم القرآني رحمه الله تعالى فان جوابه عن ورود الآية
 في سياق الكلام عن قيام الساعة وأحوال الآخرة بأنه يصح ان يكون مرادها البرهان بقياس
 النظر في العمران على النظر في الخراب جواب وجيه وما دعم قوله به من بيان معنى الصنع
 والانتقان، قد أحسن فيه الصنع كل الاحسان، لولا أنهم أجابوا عنه بأن الله تعالى أحسن الصنع
 واتقنه في تخريب العالم وتبديله، كما أحسنه في انشائه وتكوينه، فكل وجه وليست الآية نصافي
 أحدها ويؤيد قول الجمهور آيات ذكر فيها تسيير الجبال في معرض الكلام على الساعة، ولنا
 في حاجة الى نصوص قاطعة تصف الاكوان بكل أوصافها، وتبين حقائقها وماهيتها، فحسبنا
 أن الله تعالى أرشدنا إلى البحث وأمرنا بالنظر لنصل إلى ما يمكن الوصول إليه مستدلين به على

علمه وحكمته وشمول قدرته سبحانه فالكتاب مرشدو البحث موصل وقد تركنا هذا
النظر وصار قينا من مجرمه باسم الدين، وان ترك الدين بمخالفة كتابه المبين،

﴿ شهادة غير المسلم وخبره ﴾

(ص ٨) ومنه: هل تقبل شهادة غير المسلم كالنصراني أو اليهودي في بعض الامور أم لا تقبل
أصلاً وشهد طبيب نصراني بأن الزوج ضرب زوجته ضرباً شديداً والمرضى حصل بسبب
ذلك هكذا كتب الطبيب فهل يتبل قول هذا الطبيب؟ وهل هذا القول شهادة أم خبر؟
وما الفرق بين الشهادة والخبر؟ أم هذا القول في حكم الكتاب فيصم به من حين هو
كتاب؟ هذا ما كنا نرجو شرحه من حضر تكلم دام فضلكم وعم نعمكم وعلى الله أجركم
(ج) تقبل شهادة غير المسلم في بعض الامور وفي ذلك نزل قوله تعالى «يا ايها الذين آمنوا
شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم او آخران من
غيركم» وهي في سورة المائدة التي لا نسخ فيها فقد اخرج احمد من حديث جبير بن نفير عن
عائشة قال دخلت على عائشة فقالت هل تقرأ سورة المائدة قلت نعم قالت فانها آخر سورة
انزلت فما وجدتم فيها من حلال فأحلوه وما وجدتم فيها من حرام فحرّموه: وروى البخاري
في التاريخ وابوداود والترمذي وغيرهم من حديث ابن عباس قال خرج رجل من بني سهم
مع تميم الداري وعدي بن بداء (١) فبات السهمي بأرض ليس بها مسلم فلما قدموا بتركته
فقدوا جاما من فضة مخوصا (٢) بذهب فأحاطهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد
الجام بمكة فقالوا ابتناه من تميم وعدي ابن بداء فقام رجلا من اوليائه خلفا لشهادتنا
احق من شهادتهما وان الجام لصاحبهما قال فقيمهم نزلت هذه الآية «يا ايها الذين آمنوا شهادة
بينكم»: وروى ابوداود والدارقطني بسند قال الحافظ ابن حجر رجاله ثقات عن الشعبي
ان رجلا من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقا (٣) ولم يجد احدا من المسلمين يشهده على

(١) الرجل السهمي اسمه بزبل (كزبير) لا بديل بالدال او الراء كما قيل وتميم
وعدي كانا نصرانيين وقد مر قال الجام من متاع الرجل ولم يعلم انه كتب ورقة بجميع
ما اودعهما (٢) الخوص تشديد الواو المتقوس بما يشبه الخوص وهو مما يبنى به الآن في حلب
الفضة وآنيها وما يوضع في رؤوس العصي منها (٣) هي بفتح الدال وضم القاف وسكون الواو
والقصر بلد بين بغداد واربعة

وصيته فأشهد رجلين من أهل الكتاب فقدا الكوفة فأتيا الأشعري يعني إمام موسى فأخبراه
وقدما بتركته ووصيته فقال الأشعري هذا صرا لم يكن بعد الذي كان في عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأحلفهما بعد العصر ما خانا ولا كذبا ولا بدلا ولا كتابا ولا غيرا وانما
لوصية الرجل وتركته فأمضى شهادتهما:

ظاهر الآية والأحاديث مشروعية أشهاد غير المسلم وخضه من قال به من العلماء
بالسفر وعدم وجود مسلمين ولا نعلم ان احدا قال بالاطلاق او بقياس غير السفر عليه عند
الحاجة . وعظم على بعضهم جواز اشهاد غير المسلم وحاولوا التفتيش منه فزعم بعضهم ان
الآية يحتمل ان تكون منسوخة ورد بأن سورها آخر القرآن نزولا ووورد انه لا منسوخ
فيها على ان النسخ لا يثبت بالاحتمال . وزعم بعض ان قوله تعالى « او آخران من غيركم »
مناه من غير اقرار بكم ورد بأن الخطاب في الآية للمؤمنين فقيرهم من ليس على دينهم . وقال
بعض العلماء ان هذه الآية في غاية الاشكال . واحتج من لم يجز لإشهاد غير
المسلم ولم يقبل شهادته عليه بقوله تعالى « وأشهدوا ذوي عدل منكم » قالوا والكافر
لا يكون عدلا : وقال الرازي في تفسيره « أجاب الاولون عنه لم لا يجوز ان يكون
المراد بالعدل من كان عدلا في الاحتراز عن الكذب لامن كان عدلا في الدين
والاعتقاد والدليل عليه انا أجمعنا على قبول شهادة أهل الأهواء والبدع مع أنهم
ليسوا عدولا في مذاههم ولكنهم لما كانوا عدولا في الاحتراز عن الكذب قبلنا
شهادتهم فكذا هنا . سلمنا ان الكافر ليس بعدل الا ان قوله « وأشهدوا ذوي عدل
منكم » عام وقوله في هذه الآية « ائنان ذوا عدل منكم او آخران من غيركم إن أتم
ضربتم في الأرض » خاص فانه أوجب شهادة العدل الذي يكون منافي الحضر واكتفي
بشهادة من لا يكون منافي السفر فهذه الآية خاصة والآية التي ذكرتموها عامة والخاص
مقدم على العام لاسيما اذا كان الخاص متأخرا في النزول ولا شك أن سورة المائدة
متأخرة فكان تقديم هذه الآية الخاصة على الآية العامة التي ذكرتموها واجبا
بالانفاق والله أعلم » اه

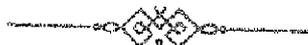
ولاشك ان المراد بعدل الشهود ما ذكره أولا ومن عجيب أمر الجمود على
الذهب والتعصب للتقليد انه يجري صاحبه على سوء الادب مع الله تعالى ومن ذلك قول

بعضهم ان الآية تخالف القياس والاصول واي اصل لدين الاسلام غير القرآن فيحتمل عليه أو يرجع اليه . قال في نيل الاوطار : « وأما اعتلال من اعتل في ردها بأن الآية تخالف القياس والاصول لما فيها من قبول شهادة الكافر . . . فقد أجاب عنها من قال به بأنه حكم بنفسه مستثنى عن نظيره وقد قبلت شهادة الكافر في بعض المواضع كما في الطب : الخ

أما قبول قول الطيب الكافر فقد قال به بعضهم على اطلاقه وقيدته بعض الفقهاء في المرض المبيح لا يبيح أو الفطر في رمضان بما اذا صدقه المريض أي يعمل بقوله اذا لم تقم قرينة او شبهة على انه كاذب . وكذلك الطيب المسلم اذا قامت القرينة على كذبه لا يعمل بقوله

ثم ان من العلماء من يقول ان البيعة هي كل ما يتبين به المطلوب حتى يعلم الحاكم مثلا ان الذي حصل هو كذا وقد اطلال ابن القيم ببيان هذا في كتابه (اعلام الموقعين) واحتج عليه بالكتاب والسنة . وعليه يقال اذا كان بعض الكافرين المعروفين بالصدق شهدوا في قضية شهادة تؤيدها القرائن بحيث يطمئن قلب القاضي وغيره بصحتها وافرض ان من جملة هذه القرائن انها ربما مستهم بضرروا ان كتبها ربما جر اليهم منفة فان هذه الشهادة تمبر على ما ذهب اليه ابن القيم بيعة شرعية . على ان مذهب اصحاب الحنابلة تخصيص شهادة الكافر بمسألة الوصية كما ورد وبكون الشاهدين من اهل الكتاب ولو غير ذميين

واما الفرق بين الشهادة والخبر فالاصل في الشهادة ان تكون اخبارا عن مشاهدة ورؤية ثم انها تطلق على التحمل وعلى الأداء قال في كشف اصطلاحات القنون : « الشهادة بالفتح والهاء المنخفضة لصفة خبر قاطع كما في القاموس وشرعا إخبار بحق للخبر على آخر عن يقين وذلك الخبر يسمى شاهداً : وقال في الكلام على هذه القيود : وقولنا عن يقين يخرج الاخبار الذي هو عن حساب وتخمين : وكان ينبغي ان يقول الذي قد يكون عن حساب وتخمين ثم زاد قيدا آخر عن فتح التقدير وهو « في مجلس الحكم » .



﴿ رأي عالم أزهري في العلماء ﴾ تابع لما قبله

وقال في فصل عنوانه حال العلماء اليوم ما نصه بحرفه ورسمه :

« ماذا أقول في هذا الباب وماذا ينبغي أن أقول فيه والمقام خرج والحاجة إلى الإبانة شديدة . أخشى سطوة الرؤساء وقيامه العلماء فأكتب من صحائف الاطراء ما تمزقه يد الشهود أم تأخذني العزة بالأمم فلا أرضى أن أنسب لنفسي ولا لابناء جنسي ما حطنا وحقرنا في هذا الوجود أم أسكت وأغاط شعوري وأقول إنني واحد من كثير ، أو اعلم نفسي بالقضاء والتقدير »

ربي أنت أعلم بحيرتي ودهشتي فانشاني من أحوال هذا الترديد ، وألهمني القول الرشيد ووقفني لما فيه الخير لي ولأهل علمي يارب العالمين

تالله ان من أهم ما استلفت الأنظار حال علماءنا اليوم وفائدة الأمة منهم فهم بحسب أصل الوضع المرجح الأعلى في اصلاح شؤون الأمم الإسلامية وغرس الملكات الدينية في قلوب المسلمين ونشر العلم بينهم ودلائهم على ما ينبغي أن يكونوا عليه في أمري الدنيا والآخرة وإيقافهم على قبح التبجح وحسن الحسن من الاخلاق والعادات والاقوال والافعال اذ هذا هو المقصد من افراد طائفة بالأشتغال بالعلم وتشييد دور واسعة لهم

ولسكن المطامح على حالنا اليوم لا يدري هل المقصود من الأشتغال بالعلم الديني هو هذا ، أو المقصود أن يحوز الانسان مرتباً يقوم بضروريات معاشه فيكون العلم الديني من الحرف يقصد لتميش أو المقصود أن يحوز شرفاً وجاهاً وصفة بين الناس لا يحوزها إلا من يؤدي الامتحان فيقال زكي نجيب حاز قصب السبق الى غير ذلك من العبارات أو المقصود تكميل الفرق وتعيم الطوائف حتى لا يكون المجتمع الاسلامي خالياً من فرقة تسمى (العلماء) تميماً للنظام وان لم تنفع هذا المجتمع بشي* بذكره . أو المقصود المحافظة على التقاليد الاولى والاحوال القديمة ولو بتغير معنى . أو المقصود وجود فرقة تمثل تلك الفرقة العالية التي أقامت هيكل العلم الاسلامي وشيدت له بيتاً من

العز في العصور الاولى كما يكون في تشخيص رواية مثلاً

ولا يعرف ايضاً هل المقصود من العلم أن يعرفه الانسان وان كان لا يلاحظه في خلقه وعاداته وعمله او لا بد أن يظهر أثر علمه في شخصه قبل غيره وهل الغرض ان يخصص

العلم بين جذران المدارس الدينية . او الفرض ان تكون المدارس كالشمس تنبث منها
الانوار في جميع أرجاء العالم ويكون لها أثر في ترقى الامم الاسلامية مثل تأثير الشمس
في انماء الزروع وانضاج الثمار واصلاح هذا الكون

على اني لا أريد أن أفيض في بيان حال علماءنا وما هم عليه فذلك شئ مؤلم
وحسبي منه ما يعلمه الناس وما مست الحاجة لإيادته في سابق هذا الكتاب ولا حقه
ولكنني أذكر من ذلك أمراً واحداً مهما هو علة العذل في كل الاحوال . الأواه
مبدأ العلماء اليوم ومشرهم فأقول : ينقسم علماءنا في مبدأهم الى قسمين - آخذين
بالعادة، وآخذين بالفكر - فأما الآخذون بالعادة فهم جمهور العلماء لا يميلون الا
لما وجدوا عليه من قبلهم معتقدين أن الكمال فيه سواء في ذلك علومهم ومعتقداتهم
والكتب التي يدرسونها وطريقة التدريس والامور الشخصية وسائر الاحوال . والاكابر
منهم أهل الكمال هم المتأزون بالصلاح والتقوى والنظر الى الآخرة أو بالتدقيق في
المباحث اللفظية والمعاني الخيالية ولكن مع الجهل بالشؤون العامة وأكثر العلوم
الضرورية والاحوال العمومية ومع التنبس بكثير من المعتقدات الخرافية والاهام
العامة ومع الجلود والوقوف عند حد من الفكر والتعقل أدنى مما ينبغي ومع الاقتصار
من العلم على ما لا يكفي ومع عدم النظر الى نشر العلم أو تربيته من الفهم وعدم السعي
فيما يصلح العامة وما يعود على الأمة بالتقدم في أمري الدنيا والآخرة ومع عدم
الجراءة في شئ مما ينبغي الجراءة فيه ومع عدم الاهتمام بحال المسلمين ولا بما يطراء
اليوم على الاسلام من أوجه الطعن وعدم الاكتراث باقناع المعارضين ورد المجادين
بل يكتبون من العام بتدقيق في الالفاظ وتحقيق لمعض المعاني على ضرب خاص لا يفيد
الا بعد زمن مديد وجهد شديد

وأما الآخذون بالفكر فهم حديثو العهد ولم يزالوا قليلين جداً وهؤلاء يرون
أن ما عليه الأولون غير صواب وينتقدون عليهم في علومهم وأخلاقهم وصلاحهم
وسائر أحوالهم ويرون الكمال في أن يكون الانسان قوي الفهم شديد المارضة
صحيح النظر في الشؤون العامة ويعلم من علوم الكون ما يمكنه أن يرقى به الأمة
ويوقفها في صفوف الامم الحية ويخرجها من الاهام وأسر الجهالة ويتغالبون في ذلك

الا أنهم مع هذا يثقون بأفكارهم ويستبدون بها ويحكمونها فيما لا ينبغي أن تحكم فيه ويكرهون كل قديم مما عليه الجمهور مع عدم اعطاء تربية الملكة الدينية وما يتعلق بأمر الآخرة من العناية مثل الذي أعطوه للأمور المتقدمة بل مع اغفال ما يقرب الانسان من الملاءم الأعلى ويظهر عليه آثار العبودية

والذي أراه نقص المبدأين وعدم كمال الفريقين وان كلا منهما يتعد عن الغاية التي ينبغي أن يصل اليها أهل العلم بقدر ما يقرب الآخر منها وان أجزاء الكمال الواجب للعلماء موزعة عليهم لا مجموعة وان كلا مصيب في شيء مخطئ في آخر فان التمسك بالمادة قبيح كما ان الثقة بالفكر توقع الانسان في الخطأ من حيث لا يشعر بل المبدأ الصحيح الذي ينبغي أن يسلكه أهل العقول الراجحة هو كما أقول (لا تقديس العادة ولا تثق بفكرك) بل تأمل وتدبر فمسي أن يكون ما عليه الناس حقاً خفي عليك وعسى أن يكون ما رأته صواباً غفل عنه الناس . وما تمسك به الأولون من الصلاح والتقوى والانكسار والاقبال على أمر الآخرة والتحقق بالعبودية حسن ولكن في موضعه وعلى وجه لا يؤدي الى الاقتصار عليه وعدم القيام بالشؤون الواجبة على العالم من حيث هو عالم يلزمه أن يكون ذا نظر وسمة اطلاع والمسام باخلاق الناس وأحوالهم وحسن بيان وعلم بما يلزم من علوم الا كوان لممكنه ان يقوم بالواجب عليه للناس حتى القيام ويكون لقومه تسمياً مضيئة ولا إغلاء كلمة الحق وقيام الناس على طريق الهدى سبفا ماضياً ومشاراً عالياً فهذا واجب وهذا لازم ولهذا وقت ولذلك وقت آخر . فالعالم اذا جن عليه الليل ذل وخشع وانكسح وانخلع عن هذا الكون الناقص وأقبل على الحق واقترب من ملكوت الله يسجد ويركع ويسبح ويقديس ويمجد الحق ويناجيه بما شاء حتى تتورم قدماءه ويخجل جسمه واذا أصبح أصبح شهياً جريئاً في موضع الجراءة والشهامة يعظ ويرشد ويعلم ويقول الحق ويهدي الى سواء السبيل يسير هذا ويجلس الى ذلك . ان استعمل الشدة في موضعها فمن غير عنف وان استعمل اللين فبغير ضعف لاتفوته شاردة ولا واردة مما يري فيه صلاح الامة في أمر دنياها وآخرتها فلقد قال الحق في اصحاب رسول الله (أسدء على الكفار رحماً بينهم) وقد كانوا اذا رأهم راء في النهار ظنهم من قطاع الطريق يشنون الفارة

هنا ويسارضون غير قریش هنا وهكذا لأنأخذهم رأفة في دين الله فإذا أقبل الليل كان لهم أزيز كآزيز النحل (*) يذكرون الله تعالى ويسبحونه أنا الليل وأطراف النهار لا يفترون

وما يغلب على القسم الثاني من القيام باصلاح الأمة وارشادها الى طريق سدادها وعدم إغفال الفكر مع الميل الى الترقى في العلوم والمعارف والاخلاق الخ حسن . ولكن على وجه لا يعقل منه قوام الدين واساسه وهو ايجاد الروح الدينية المألوبة والتقرب من الملاة الاعلى وتعمير القلوب بالانوار الالهية والمعارف الوجدانية التي هي غاية الكمال لموتبة الانسان والتي تقرب من الحق جل وعلاه وأنت تجد اصكثر القرآن انما جاء ليدعو الناس الى سعادة وراء هذه السعادة الدنيوية وكما فوق هذا الكمال الظاهر

هذا ولا بأس ان استعين بالمقارنة والتبثيل بالأمثلة الحائزين لحصال الكمال والمشهورين بأنواعها واقول ان العالم لا بد ان يكون في جراءة وعقل وفكر وحسن بيان مثل فضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده وذلك وتواضع وخشوع وصلاح فضيلة الاستاذ الشيخ الشريفي

بل اقول ان العالم الكامل لا بد ان يكون في اقدم عمره وحلم الاحضف وزكاة اياس وتقوى ووجدان الجيد وبلاغة سبحانه وعبد القاهر ونحو سيوبه وفلسفة ابن سينا وفتة ابي حنيفة الخ واقول ثالثاً ان العالم الكامل هو من يجمع من الكمال ما جمع الغزالي اويفوقه اويقرب منه واسأل الله الكريم ان يوجد بيننا علماء اقوياء كاملين يكون هذا حالهم وهكذا شأنهم انه سميع قريب مجيب اهجر وفه وغلطه وتحريره

(المنار) ههنا هو اعتقاد احد المدرسين في الازهر بعلماء الازهر الذين يقول بعض الناس ان حفظ الدين يتوقف على فهمهم على حالهم . وان حديث الناس في مثل ما كتب هذا الشيخ الازهري كثير ولكن لم يتجرأ احد على كتابة ما يعتقد اويسمع وطبمه وتشره بين الناس ولهذا كان لكتابه تأثير عظيم عند خواص الناس ورجال المخلصون

(*) المنار: الدوي هو صوت النحل وكذا صوت الغراب والريح وأما الأزيز فإنه

صوت المرجل (القدر) عند الفيلان ويقال أيضاً أزيز الرعد

في حب الخير لماتهم أن يكون هذا المؤلف عضدا عظيما للإصلاح ولكنه ما عثم ان زلزل
رجاهم ببذنه نشرها في بعض الجرائد اليومية عنوانها (كتاب مفتوح) لأمير البلاد
خالف فيها بعض رأيه في كتاب العلم والعلماء وكتب في بعض الجرائد رد عليه يشعر بأنه
ما كتب هذا الكتاب المفتوح الا بتأثير لا يقوى مثله على دفعه. وقد بلغنا ان من طلب
منه كتابة الكتاب المفتوح هدهد بمحو اسمه من ديوان العلماء والمدرسين اذا هولم
يكتب فصدق القول لان المهدد اتصالا بمن يظن فيهم القدرة على المحو والاثبات ولو
ثبت على رأيه لكان خيرا له ولو محي اسمه من المدرسين. على ان محوه لم يكن ميسورا
لأولئك المهديين ، وإتانا ذكر أخانا المؤلف بأن المعتقدين مثله بحاجة الأمة الى الإصلاح
الديني والعلمي كثيرون ومنهم من هم أوسع نظرا وأبعد رأيا في طريق الإصلاح وإنما
يموزهم العزم والثبات ، وعدم المبالاة بما يلاقون من المعارضة والصعوبات ، فان استطاع
ان يكون كذلك فليقدم ولا يخف في الحق لومة لائم والا فليسكت ويسكن خيرا له من ان
يكون كبعض أصحاب الجرائد يسير يوما على صراط المصلحين. وبوما على طرق المعارضين ،

أناك على الدنيا

﴿ كلية ودمنة ﴾

لهذا الكتاب من الشهرة ما يفني عن تعريف به والتنويه بما فيه من الحكم الرائعة
والآداب العالية في العبارة البليغة والاسلوب الرفيع ، قلما يوجد كاتب مجيد في هذه اللغة لم
يكن كتاب كلية ودمنة من مادته وهو من الكتب التي عنيت نظارة المعارف في مصر بطبعتها
وأوجبت على تلامذة مدارسها مطالعته ليكون عنوانهم على تحصيل ملكة الانشاء والتحرير
وايستفيدوا من آدابه وحكمه ما يفيدهم في انفسهم كما يفيدهم بعبارة في أقلامهم وألسنتهم .
وقد طبع غير مرة في مصر وبيروت وأوربا ولكن كل طبعته تاطلة من حلي الصور التي
وضعت في أصله لتثبيل ما فيه من الحوادث والأمثال أو لأجل « زيادة الأني للقلوب ،
وشدة الحرص عن المكتوب ، » كما قال ابن المقفع من ترجم الكتاب حتى عز الشيوخ أحد طباره
محرر جريدة ثمرات الفنون في بيروت حتى على نسخة خطية من الكتاب من مينة بالصورة